# كيف نتعامل مع الأزمات من خلال رسائل النور

د. شوالين محمد سنوسي كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

جامعة وهران –1– أحمد بن بلة –الجزائر

**الملخص:**

يعيش عالمنا المعاصر اليوم أزمة متعددة الجوانب ألغت الأمن والسلام من حياة الناس، وأبدلتهم بذلك خوفا وجوعا، وأضحت بلاد الإسلام ميدان تصارع القوى الكبرى التي تحكمت في مصائر الناس بما تملكه من وسائل الدمار المادية والمعنوية، هذه الأزمات المتلاحقة كقطع الليل المظلم ،دفعت بالإنسان إلى تلمس المخرج الآمن من ظلمتها إلى بر الأمان الأمر الذي أدى إلى اختلاف الآراء حول أسبابها، وكيفية التعامل معها؛ تبعا لاختلاف الخلفية الفكرية والعقائدية لكل فريق.

والإمام النورسي الذي شهد أخطر أزمة ألمت بالمسلمين، بسقوط الخلافة لإسلامية كآخر وجود سياسي لدولة الإسلام وبداية إجراءات التغريب التي سلطت على تركيا ،عاصمة الخلافة الإسلامية، اتجه بتوفيق من الله شأنه في ذلك شأن طائفة من العلماء الربانيين مسترشدا بالقرآن الكريم والسنة النبوية، إلى تلخيص الأسباب الرئيسية للأزمة في عاملين أساسين هما: الاستبداد، والابتعاد عن جوهر الدين وحقيقته، وللخروج من الأزمة تبنى الإمام النورسي منهج النبوة في الإصلاح المتمثل في إعادة صياغة الإنسان المسلم بإحياء القيم الإيمانية "بإزالة الحجب والموانع التي حالت بين المسلم وعقيدته، "فالحرية والعدالة والمساواة التي كان يترفل بها خير القرون والخلفاء الأربعة، ولاسيما في ذلك الوقت، دليل علي أن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة والعدالة والحرية الحقة.

فآثار سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما وصلاح الدين الأيوبي دليل وأي دليل على هذا الادعاء"؛ إذ لا سبيل لإنقاذ الإنسانية من غياهب الأزمة إلا بإحياء العقيدة الإسلامية وإزالة الموانع التي حجبت نور الإسلام عن الإنسانية.

**الملخص باللغة الإنجليزية:**

Today‹s world isexperiencing a multifacetedcrisisthat "abolishedsecurity and peacefrom people‹s lives" and replacedthem for fear and starvation and became the land of Islam the field of wrestlingwith the greatpowers, "whichcrashed in the destinies of people Including the means of physical and moral destruction "These successive crises, such as cutting off the dark night, led the man to touch the securitydirectorfromits injustice to safety, whichled to different opinions about the reasons and how to deal withthemdepending on the differentideological and ideological background of each team.

And Imam Nawrassi, whowitnessed the mostseriouscrisisinflicted on Muslims by the fall of the IslamicCaliphate as the last politicalpresence of the Islamic state. The beginning of the Westernizationmeasuresthat have imposed on Turkey, the capital of Islamic culture, has succeeded in reconcilingGod as well as a group of religiousscholarsguided by the Holy Quran and Sunnah to summarize the main causes of the crisis In two basic worlds: tyranny and alienationfrom the essence and truth of religion and to get out of the crisis Imam Nawrasadopted the approach of prophecy in the reform of the reform of the Muslim man to revive the values of faith by removing the barriers and barriersthatprevented the Muslim and hisfaith For the freedom, justice and equalitythatwere the best of the centuries and the four caliphs, especially at that time evidencethat the Sharia is the glue of all the bonds of equality, justice and truefreedom, the effects of our master Omar and Sayyid Ali may Allah bepleasedwiththem and Salah al-Din guide and any Evidence of this claim "as itis impossible to savehumanityfrom the absence of the crisis to revive the Islamicfaith and remove the obstacles thatobscured the light of Islam on humanity.

**مقدمة:**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار.

وبعد:

يعدالإمام النورسي من أولياء الله الذين هيأهم للأمة في أحلك الظروف وأشدها قسوة، حيث شهد سقوط الخلافة وعودة التعصب للقوميات، وتنكر حكام تركيا للإسلام وحضارته، بما أعلنوه من إجراءات تغريبية، واختيار الأنظمة العربية القومية العربية بديلا عن الإسلام، في خضم هذه الفتن المتلاحقة كقطع الليل المظلم ألهم الله تعالى الإمام الرباني بديع الزمان النورسي كيفية التعامل مع الأزمة؛ مستندا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية في الكشف عن أسبابها والسبيل إلى الخروج منها بسلام وعافية..

هذا ما سأحاول الوصول إليه في هذه الورقة البحثية من خلال رسائل النور ضمن المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: التعريف بالأزمة وبيان أسبابها

المبحث الثاني: كيف السبيل إلى الخروج من الأزمة

**المبحث الأول: التعريف بالأزمة وبيان أسبابها**

إن الإنسانية تتشوف اليوم إلى غد مشرق ، يزيح عنها ظلمات المآسي ، التي تعيشها نتيجة الظلم المتولد عن الاستبداد الذي أوجده الإنسان المتمرد عن النظام الإلهي، قال الله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾[1].

ومن سنن الله تعالى في كونه، أنه عندما تشتد الأزمات ويعم اليأس، يمد سبحانه وتعالى عباده بالخلاص ،يقول تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [2].

وإن المتأمل في رسائل النور يجد أن الإمام النورسي استطاع أن يعرف بالأزمة وأن يحدد أسبابها مسترشدا بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، فالأزمة عند النورسي هي الإنسان نفسه عندما ينحرف عن منهج الله ويتأله قال الله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [3].

فالإنسان عندما يتأله، يعم لاستبداد، الذي هو مصدر كل الشرور والآثام قال الله تعالى : ﴿ **وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ *الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ *فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ *فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ...** ﴾ [4]، وعن خطر الاستبداد يقول النورسي : "إ ن ظلال البشرية ، وعنادها النمرودي، وغرورها الفرعوني ، تضخم وانتفش حتى بلغ السماء ، ومس حكمة الخلق ،وأنزل من السموات العلا ما يشبه الطوفان والطاعون ،والمصائب والبلايا، تلك الحروب العالمية الحاضرة؛ إذ أنزل الله سبحانه لطمة قوية على البشرية قاطبة؛ لأن أحد أسبابها يشترك فيها الناس كلهم هو الضلال الناشئ من الفكر المادي ، والحرية الحيوانية، وتحكم الهوى"[5].

هذا الفكر.المادي ، الذي أفقد الإنسان غايات وأبعاد وجوده، وصرفه عن المهمة الرسالية الكبرى، أمانة الاستخلاف؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [6].

يشير الإمام سعيد النورسي إلى خطر الفلسفة المادية ، المتمثل في تعطيل الحواس وشل العقل، فيقول: "الفلسفة المادية طاعون معنوي، حيث سببت في سريان حمى مهلكة في البشرية، وعرضها للغضب الإلهي، فكلما توسعت قابلية التمرد والانتقاد- بالتلقين والتقليد- توسع ذلك الطاعون وانتشر"[7]، ويضيف مبينا الأضرار التي ألحقها الفكر المادي بالإنسانية، حيث أوصلها إلى المعيشة الضنك مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[8]؛ فيقول: "رفعت من هذا العصر البركة من جراء الإسراف المتزايد ، وعدم مراعاة الاقتصاد، ومن عدم القناعة مع الحرص الشديد، فضلا عن تزايد الفقر والحاجة، والفاقة وهموم العيش، مما سبب جروحا بليغة في تطلع الإنسان للعيش ، وفي نزوعه لحفظ الحياة، علاوة على تشعب متطلبات الحياة المرهفة، زد على ذلك استمرار أهل الضلالة بتوجيه كل الأنظار إلى الحياة..... كل ذلك عمّق تلك الجروح حتى دفع الإنسان ليفضل أدنى حاجة من حاجات الحياة على مسألة إيمانية عظيمة"[9]؛ زد على ذلك أن الفكر المادي أفقد الإنسان بعده الروحي ،حيث أصبحت الدنيا مبلغ علمه يقول النورسي: "هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسانية بالحياة الدنيوية، بما كثر عليه من متطلبات الحياة، وضيق عليه مواردها، وحول حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية، بما ابتلاه بتقليد الناس بعضهم بعضا، ومن التمسك بعبارات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى، والمقصد الأعظم الإنسان في كل وقت فهذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجابا دون الحياة الدينية، والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمرا ثانويا أثالثيا بالنسبة له"[10]، وانطلاقا من عقيدته الإسلامية يؤكد النورسي أن الضلالة لا تنتج خيرا بل تردي بالإنسانية إلى الهاوية وتمحق كرامتها مصداقا لقوله تعالى : ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾[11] فيقول: "إن طريق الضلالة يردي الإنسان إلى أسفل سافلين، إلى حد تعجز أية مدنية كانت، وأية فلسفة كانت، عن إيجاد حل له، بل يعجز الرقي البشري وما بلغه من مراتب العلم من إخراجه من تلك الظلمات الساحقة التي في الضلالة "[12]؛ لأن المدنية الغربية منفصلة عن الوحي وعدها غرور وعدت الناس بالرحمة فأوصلتهم إلى الأزمة يقول النورسي: "إن المدنية الحاضرة الغربية؛ لسلوكها طريقا مناقضا لأسس دساتير السماء، وقيامها بمناهضتها فقد طفح كيل سيئاتها على حسناتها، وثقلت كفة أضرارها على فوائدها فلقد اضطرب أمن الناس واطمئنانهم وأقلقوا، وأسنت سعادتهم الحقيقية فاختل ماهو مطلوب من المدنية والمقصود منها، حيث حلت بسببها نوازع الإسراف والسفاهة محل بوادر الاقتصاد والقناعة، واستمرئت ميول الكسل والدعة، وهجرت مراعي السعي والعمل ولقد ألبست-هذه المدنية- البشرية المضطربة لباس الفقر المقدع، وكستها أثواب الكسل والتقاعس الرهيب"[13].

**الخلاصة أن النورسي** يحدد آثار الأزمة في ستة أمراض، حيث يقول : "لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب- وخاصة الأوربيين نحو المستقبل وتلك الأمراض هي:

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حبّ العداوة.

رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية"[14].

والفرق الموجود بين الإسلام والشريعة، والأحوال السيئة للمسلمين يجلب السلوك الفاسد للنخبة وأفكارهم الخاطئة لموضوع النقاش: "فالحرية والعدالة والمساواة التي كان يترفل بها خير القرون والخلفاء الأربعة، ولاسيما في ذلك الوقت، دليل علي أن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة والعدالة والحرية الحقة. فآثار سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما وصلاح الدين الأيوبي دليل، وأي دليل على هذا الادعاء"[15].

ومن هنا فإني أقرر: إن سبب تأخرنا وتدنينا وسوء أحوالنا إلى الآن ناتج مما يأتي:

1 – عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء.

2 – تصرفات بعض المداهنين تصرفاً عفوياً.

3– التعصب المقيت في غير محله سواءً لدى عالم جاهل أو جاهل عالم!

4 – تقليد مساوئ المدنية الأوروبية تقليداً ببغائياً –بسوء حظنا أو سوء اختيارنا– مما ولّد تَرَكَنا لمحاسن المدنية التي لا تستحصل بغير مشكلات ومصاعب. ويستشهد على ذلك بقول القائد الياباني:" إنه بنسبة قوة الحقائق الإسلامية وبنسبة التزام المسلمين تلك الحقائق يزدادون رقيا وتقدما هكذا يرينا التاريخ ويرينا أيضا أنه بقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع في ألوان من الهرج والمرج والاضطرابات ويغلبون على أمرهم"[16].

**المبحث الثاني: كيف السبيل إلى الخروج من الأزمة:**

إن تشخيص الداء يمهد الطريق إلى الاهتداء إلى الحلول الناجعة، ومن عمق الأزمة ينبعث الأمل، ويستشرف المصلحون طريق الخلاص، ويجدون في السير نحوه ،ولاشك أن شدة وقع الأزمة دفع بالعلماء والمفكرين إلى البحث عن السبل الكفيلة للخروج منها ، كل من منطلق تشخيصه للأسباب الموجدة لها ، والإمام سعيد النورسي الذي عاش المأساة بكل جوارحه وعاني من ويلاتها ووقف على أسبابها تأكد يقينا أن لا سبيل لإنقاذ الإنسانية من غياهب الأزمة إلا بإحياء العقيدة الإسلامية وإزالة الموانع التي حجبت نور الإسلام عن الإنسانية يقول مخاطبا المسلمين من على منبر الجامع الأموي بنبرة كلها ثقة وأمل في الله قد دنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية وبخاصة سعادة العثمانيين، لاسيما سعادة العرب الذين يتوقف تقدم العالم الإسلامي ورقيه على تيقظهم وانتباههم ، فإني أعلن بقوة وجزم ، بحيث أسمع الدنيا كلها وأنف اليأس والقنوط راغم : "إن المستقبل سيكون

للإسلام وللإسلام وحده ، وإن الحكم لن يكون إلاّ لحقائق القرآن والإيمان"[17]، ويرسم معالم حل أزمة الإنسان المعاصر في الآتي:

**1 – تجديد التعامل مع القرآن الكريم:** يرى النورسي أن حل الأزمة الإنسانية لا يمكن أن يكون إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم باعتباره كتاب هداية لا يمكن للإنسانية أن تستغني عنه لأن في الاستغناء عنه هلاك ودمار يعبر عن ذلك بقوله : "إنّه بنسبة قوة الحقائق الإسلامية وبنسبة التزام المسلمين تلك الحقائق، يزدادون رقياً وتقدماً، هكذا يرينا التاريخ. ويرينا أيضا أنّه بقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع في ألوان من الهرج والمرج والاضطرابات، ويُغلَبون على أمرهم.. أما سائر الأديان الأخرى فالأمر فيها على عكس الإسلام، أي: بقدر ضعف تمسّك أتباعها وضعف تعصبهم وصلابتهم في دينهم يزدادون رقيا وتقدماً، وعلى قدر تعصبهم وتمسكهم بدينهم يتعرّضون للانحطاط والاضطرابات. هذا هو حكم التاريخ... وهكذا مرّ الزمان إلى الآن"[18]، ثم يضيف قائلا مؤكدا صلاحية القرآن لكل زمان ومكان: "إن القرآن قد حافظ على شبابيته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نظرا فتيا. نعم! إن القرآن الكريم: بما أنه خطاب أزلي يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطابا مباشرا، يلزم أن تكون له شبابية دائمة كهذه، فلقد ظهر شابا وهو كذلك، كما كان، حتى أنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار والمتباينة في الطبائع، نظرا لأنه خاص بذلك العصر ووفق مقتضياته ملقنا دروسه ملفتا إليها الأنظار. إن أثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم مثله، وتتغير وتتبدّل. إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ، بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور"[19].

**2– حسن التعامل مع السنة النبوية الشريفة:**

**السنة النبوية تجسيد للقرآن الكريم في واقع الناس تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها** لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: ( كان خلقه القرآن)[20].

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة المثالية في الالتزام بالقرآن، والإنسانية وهي تبحث عن الخلاص ليس لها إلا الاسترشاد بهدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ يقول سعيد النورسي مؤكدا قيادة النبي صلى الله عليه وسلم للكون، والحياة، والأنبياء، وجميع المخلوقات: "لقد عرف في "الكلمة التاسعة عشرة" بأن أعظم آية في كتاب الكون الكبير، وأعظم اسم في ذلك، القرآن الكريم، وبذرة شجرة الكون، وأنور ثمارها، وشمس قصر هذا العالم، والبذر المنور لعالم الإسلام، والدال على سلطان ربوبية الله، والكشاف الحكيم للغز الكائنات، هو سيدنا محمد الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي ضم الأنبياء جميعا تحت جناح الرسالة، وحمى العالم الإسلامي تحت جناح الإسلام، فحلق بهما في طبقات الحقيقة متقدما موكب جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع الأولياء والصديقين"[21].

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يغادر الدنيا حتى قدم نماذج مثالية لحل كل المشاكل التي وقعت والتي ستقع، تشهد بذلك سيرته في كل مجالات الحياة في حالة السلم والحرب، لحظة النصر وساعة الهزيمة، لذلك كانت النجاة حتما في طاعته والاقتداء به في مواجهة التحديات.

### 3- حسن التعامل مع السنن الكونية :

إن أزمة التخلف التي يعيشها العالم الإسلامي، مردها إلى تقاعس المسلمين عن مواكبة تطور العلوم الكونية،التي هي من مستلزمات أداء أمانة الاستخلاف ،فالقرآن الكريم ينص صراحة إلى أن دراسة السنن الكونية طاعة ثمرتها خشية الله تعالى قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[22].

**يقول النورسي** : "فكما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية. وغالبا ما يرى الأول – مطيع الشريعة والعاصي لها، جزاؤه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني مطيع السنن الكونية والعاصي لها، غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا. فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة التقاعس والذل والتسفل، كذلك ثواب السعي الغنى، وثواب الثبات التغلب"[23]؛ ويؤكد أن التوفيق يكون حليف من ينسجم مع السنن الكونية حيث يقول: "إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرقي، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشر"[24].

ثم يبين أن الانسجام والتوافق يجب أن يتقيد بالوحي فيقول: "إن من أراد التوفيق يلزمه مصافاة مع عادات الله، ومعارفه مع قوانين الفطرة، ومناسبة مع روابط الهيئة الاجتماعية، وإلا أجابته الفطرة بعدم الموافقة جواب إسكات! أما النواميس العامة الجارية فتقذف من يخالفها إلى صحراء العدم"[25].

### 4- إصلاح التعليم :

إن الجمود الذي غشيت ضلاله العالم الإسلامي أصاب منظومة التعليم في المقتل، حيث أصبحت غائبة عن واقع الحياة كونها تنتج عقولا تقليدية، عاجزة عن الإبداع ولا تستطيع توظيف المعارف المكتسبة في تحقيق حاجاتها الحياتية، يقول النورسي معبرا عن ذلك منتقدا معاصريه: "إن معاصري – مع الأسف- وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري، إلا أنهم تذكار القرون الوسطى، من حيث الفكر والرقي، وكأنهم فهرس، ونموذج، وأخلاط ممتزجة لعصور خلت – من القرن الثالث عشر الهجري-، حتى غدا كثير بديهيات هذا الزمان مبهمة لديه)[26].

ولإصلاح منظومة التعليم يرى اعتماد مبدأ الأصالة والمعاصرة موضحا الطريق الذي ينبغي إتباعه فيقول: "إن الجادة الكبرى للعالم الإسلامي هي التي سلكها أولئك الأئمة العظام كلهم، فالأمة العظيمة لا تسير إلا في الجادة الكبرى، فالذين يريدون أن يسوقوها إلى طريق مخصوصة ضيقة وإنما يضللون الناس"[27]؛ ويعني بذلك التخلص من الوهم القائل بتصادم الإسلام مع علوم المادة، يقول: "أما المانع الثامن، وهو أهم الموانع، والبلاء النازل فهو توهمنا – نحن والأجانب بخيال باطل؛ وجود تناقض وتصادم بين ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم. فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخ لعناء العلوم الغيورة، اللتين أمدتا تحري الحقائق وشحنتا الإنسانية، وغرستا ميل الإنصاف في البشرية فجهزتا تلك الحقائق بالأعتدة لدفع الموانع، فقضت وستقضي عليها قضاء تاما. نعم!

إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكشفها هو سوء الفهم، وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم"[28].

ويشير إلى ضرورة تكامل القلب والعقل لتنطلق قافلة الحياة نحو السعادة الأبدية؛ فيقول رحمه الله: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"[29].

### 5- إحياء القيم الأخلاقية:

القيم الأخلاقية هي دعامة البناء الحضاري وسر بقاء الأمم ورقيها، وبفقدانها تزول الحضارات ويختفي كيانها، وإن المتأمل في أزمة الإنسان المعاصر، لا يشك في أنها أزمة أخلاقية؛ يتجلى ذلك من خلال المقايسة التي أجراها الإمام بين أسس الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، والتي يثبت فيها خطر الحضارة المادية على الإنسانية"؛ لأنها تأسست على خمسة أسس سلبية:

**فنقطة استنادها هي: القوة، وهذه شأنها: الاعتداء.**

**وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها: التزاحم.**

**ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه: التنازع.**

والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي: العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين. **وهذه شأنها: التصادم**، كما نراه.

وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي: تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها"[30].

أما المدينة التي تأمرنا بها الشريعة الغرّاء وتتضمنها، فهي التي ستنكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسساً ايجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية.

**نعم! إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة؛ والحق من شأنه العدالة والتوازن؛ وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المحبة والتجاذب.**

وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية؛ **وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب.**

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد.

وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات، فهي إذ تحدد الهوى وتحدّ من النزعات النفسانية تُطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي"[31]

ومن خلال هذه المقايسة يبين النورسي أهمية المبادئ الأخلاقية في بناء الحضارة العالمية التي تنبذ الكذب، والاستبداد، والعنصرية، والكراهية بين الأمم والشعوب، وتقيم الحياة على أساس العدل والمحبة والصدق وتضمن للناس الأمن النفسي والغذائي يقول رحمه الله: "إن الإسلام هو الذي سيعتلي عرش الحقائق والمعارف، فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام... الأمارات تبدوا هكذا"...؛

ذلك لأن الذي حال دون استيلاء الشريعة الغراء استيلاء تاما في الماضي – في تلك الصحراء الموحشة والجهل المطبق الذي تربع على عرشه التعصب الذميم وضرب فيه التقليد أطنابه في بلاد الجهل المخيم. بالسفساف والاستبداد المتنوع – أقول إن الذي حال دون هيمنة الشريعة في الماضي هيمنة تامة في أمور ثمانية. وقد محقت – وكذلك الآن تمحق – ثلاثة حقائق:

هذه الموانع التي أدت إلى كسوف شمس الإسلام.

أما الموانع التي في الأجانب فهي: "التقليد والجهل وتعصبهم وسيطرة القسس عليهم".

أما الموانع التي عندنا فهي: الاستبداد المتنوع، وسوء الخلق، والأحوال المضطربة واليأس الذي تنجم منه العطالة.

أما المانع الثامن – فهو توهمنا – وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم"[32].

إنه بطغيان ذنوب المدنية على محاسنها، ورجحان كفة سيئاتها على حسناتها، تلقت البشرية صفعتين قويتين بحربين عالميتين، فأتتا على تلك المدنية الآثمة، وقاءت دماءً لطخت وجه الأرض برمتها. وسوف تتغلب بإذن الله محاسنُ المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل، وتطهّر وجه الأرض من الأدناس وتُحقِّق أيضاً سلاماً عاماً للبشرية قاطبة.

نعم، لما كانت مدنية أوروبا لم تتأسس على الفضيلة والهدى بل على الهوَس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، تغلّبت سيئاتُ هذه المدنية على حسناتها إلى الآن، وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية؛ وهذا دليل قوي ومؤشر على قرب انهيارها وسبب مهم لحاجة العالم إلى مدنية آسيا "الإسلامية" التي ستكون لها الغلبة عن قريب؛ بقوله: "وكما أنّ الشتاء يعقبه الربيع والليل يخلفه النهار، فسيكون للبشرية ربيع ونهار إن شاء الله، ولكن أن تنتظروا من الرحمة الإلهية شروق شمس حقيقة الإسلام، فتروا المدنية الحقيقية في ظل سلام عام شامل"[33].

**الخاتمة:**

إن الدارس لواقع أزمة الإنسان المعاصر، يجد اختلافا بين العلماء والمفكرين حول تحديد طبيعة الأزمة، التي تعيق نهضة الأمة؛ الأمر الذي أدى إلى اختلافهم في تحديد السبل الكفيلة بالخروج منها، ومن خلال رسائل النور، نجد أن للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رأيه المشهور بين علماء الدعوة والإصلاح، في الفكر الإسلامي المعاصر، فهو يراها في ضعف الإيمان وضمور الأخلاق. لذلك فهو يرى الحل في تجديد الإيمان وإحياء القيم الأخلاقية قال رحمه الله نعم، إنه بناءً على ما تعلمته من دروس الحياة، يسرّني أن أزفّ إليكم البشرى يا معشر المسلمين، بأنه قد أَزِفَ بزوغُ أمارات الفجر الصادق ودنا شروقُ شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية وبخاصة سعادة العثمانيين، ولاسيما سعادة العرب الذين يتوقّف تقدمُ العالم الإسلامي ورقيُّه على تيقظهم وانتباههم، فإنني أعلن بقوة وجزم، بحيث أُسمِعُ الدنيا كلها وأنفُ اليأس والقنوط راغم أن المستقبل سيكون للإسلام، وللإسلام وحده، وأن الحكم لن يكون إلاّ لحقائق القرآن والإيمان.

لذا فعلينا الرضى بالقدر الإلهي وبما قسّمه الله لنا؛ إذ لنا مستقبل زاهر، وللأجانب ماضٍ مشوش مختلط.

والحمد لله رب العلمين

**ثبت المصادر والمراجع:**


1- النورسي، بديع الزمان سعيد -الكلمات ، دارسوزلر-ط4- القاهرة

2- النورسي، بديع الزمان سعيد -الملاحق، -دارسوزلر-ط4-2004 القاهر

3- النورسي، بديع الزمان سعيد صقيل الإسلام ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر- القاهرة.

4- النورسي، بديع الزمان سعيد اللمعات ترجمة إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر-القاهرة.

5- الخطبة الشامية ترجمة وتحقيق إحسان قاسم الصالحي 1409هـ

## الهوامش:

[1]- سورة النحل: الآية(112).

[2]- سورة يوسف: الآية(110).

[3]- سورة الروم: الآية(41).

[4]- سورة الفجر: الآيات(10-14).

[5] - ينظر: بديع الزمان النورسي:الكلمات، ص 859-دارسوزلر-ط 4- القاهرة.

[6]- سورة الجاثية: الآية(23).

[7] -بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص87.

[8]- سورة طه: الآية(124).

[9] - بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص143.

[10] - بديع الزمان النورسي:الملاحق، ص 145-دارسوزلر-ط4-2004 القاهرة.

[11]- سورة الفرقان: الآية(23).

[12] - بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص761-دارسوزلر-ط4-2004-القاهرة.

[13] - بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص377-378-دارسوزلر-ط4-2004-القاهرة.

[14] - النورسي، بديع الزمان: سعيد صيقل الإسلام، ج8 ص492- ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط سوزلر- القاهرة.

[15] - صيقل الإسلام: الخطبة الشامية، ط- سوزلر اسطنبول- 1995

[16] - صيقل الإسلام: الخطبة الشامية.

[17] - صيقل الإسلام: الخطبة الشامية، ص407.

[18] - صيقل الإسلام: الخطبة الشامية.

[19] - الكلمات: ج 1ص471.

[20] - أخرجه مسلم في صحيحه برقم: 746.

[21] - الكلمات: ج1ص343.

[22] - سورة فاطر: الآيات(27 -28).

[23] - الكلمات: ج2ص611.

[24] - اللمعات: ج3ص257.

[25] - صقيل الإسلام: ج8ص24.

[26] - صقيل الإسلام: ج8ص24.

[27] - صقيل الإسلام: ج8ص24.

[28] - صقيل الإسلام: ج8ص29.

[29] - صقيل الإسلام: ج8ص428.

[30] - صقيل الإسلام: الخطبة الشامية، سوزلر- اسطنبول-1995.

[31]- صقيل الإسلام: الخطبة الشامية، سوزلر- اسطنبول- 1995م.

[32] - النورسي، بديع الزمان: سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص23 سوزلر، إستانبول-1995.

[33]- الخطبة الشامية: ص24.